المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

وقف لله تعالى

التفسير البسيط للقرآن الكريم

قاعة بحث العلوم الشرعية
معهد الدراسات القرآنية
للبنات بمكة المكرمة
عام ١٤٢١ هـ

إعداد
د. حسن محمد باجوده
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
وعميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى

الجزء
الرابع عشر

ممنوع الإستعارة

منشورات الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم الدولية

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد

د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
وعميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى

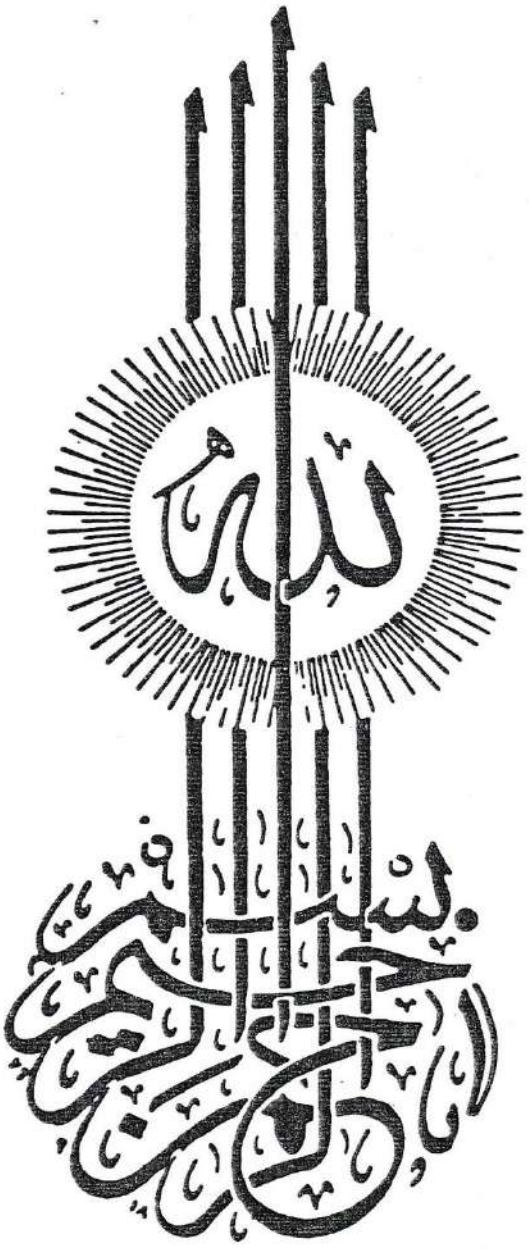
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــــة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء الرّابع عشر من القرآن الكريم يغطّي سورتي الحِجْر والنّحل . وقد قمت بعمله على غرار تفسير الأجزاء الثّلاثة عشر السّابقة .

إنّ هذا الجزء الرّابع عشر هو ميدان التّفسير للمتسابقين في الحقل الأوّل ، الّذى يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التّفسير ، من بين الحقول الخمسة للمسابقة ، في الاحتفال السّنويّ السّابع عشر الّذى عقدته وزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد برئاسة معالى وزيرها الأستاذ الدّكتور عبدالله بن عبدالمحسن التّركى في أثناء الفترة من ١٤١٥/١٠/١٣هـ إلى ١٤١٥/١٠/٢١هـ الموافق ١٩٩٥/٣/١٤م إلى ١٩٩٥/٣/٢٢م . وكأنّ هذا التّفسير تتويجٌ للأعمال الّتى تمّت في مجال التّفسير ، في أثناء المسابقة السّابعة عشرة، علماً بأنّ ميدان المتسابقين في المسابقة الثّامنة عشرة عام ١٤١٦هـ إن شاء الله تعالى ، هو الجزء الخامس عشر من القرآن الكريم .

وأنتهز هذه المناسبة المباركة كي أوجّه خالص شكرى وتقديرى لوزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، وعلى رأسها معالى الوزير ، على الفرصة الّتى منحتنى إيّاها ، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير ، الّذى حرصت فيه ، كما حرصت في سابقيه على أمورٍ أهمّها ثلاثة :

١ - أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .

٢ - أن أشير إلى الدّروس الّتى يمكن أن تستفاد .

٣ - أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنّه سميعٌ مجيب .

﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصْراً كما حَمَلْتَه على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تُحَمِّلْنا مالا طاقة لنا به . واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

﴿ سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين ﴾ .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الثّلاثاء ٦/٥/١٤١٥هـ

الموافق ١١/١٠/١٩٩٤م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د . حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة
جامعة أم القرى بمكة المكرّمة

أَوَّلًا

سُورَةُ الحِجْرِ

سُورَةُ الحِجۡر

ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا
مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ
ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ
إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي
قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ
بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن
صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ
ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ
أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

بَيْنَ يَدَيِ التَّفْسِيرِ

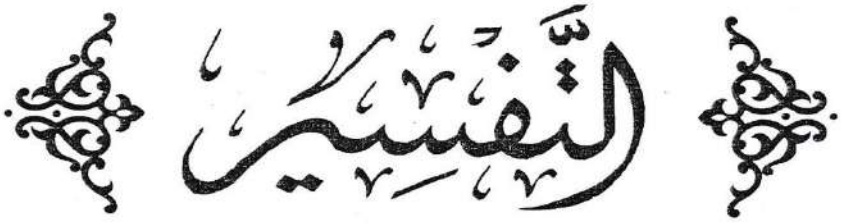

﴿ يزيد الله تعالى الكافرين المستهزئين عمًى إلى عماهم فلا يؤمنون بكلّ آية ﴾
الآيات (١ ــ ١٥)

تبدأ السّورة المكّيّة الكريمة بالحروف المقطّعة «الر» ومن العلماء من فهم أنّها امتدادٌ للتّحدّى بالقرآن الكريم المؤلّفة كلماته من الحروف العربيّة ذاتها ولكنّ نظم القرآن الكريم نسيج وَحْدِه . والسّورة الكريمة يجيء فيها الانتصار للقرآن الكريم على الفور . فالآية الكريمة الأولى يشار فيها إلى رفيع آيات الكتاب باسم الإشارة الدّالّ على البعد : ﴿تلك﴾ هذا إلى جمع الآية الكريمة بين أشهر اسمين للذّكر الحكيم يشيران إلى وسيلتي حفظه . وهذان الاسمان الكتاب والقرآن ، ويشير أوّلهما إلى الكتابة والسّطر ويشير آخرهما إلى القراءة والصّدر . والمعروف أنّ الآية الكريمة التّاسعة تشير إلى تنزيل الله تعالى الذّكر الحكيم وإلى حفظه جلّ وعلا له إلى يوم الدّين . ولّما كان أكثر أهل مكّة آنذاك كافرين فقد قرّر السّياق ما يفيد أنّ الكافرين يودّون في كلّ المواقف مستقبلاً لو أنّهم كانوا مسلمين . وبقصد إنذارهم وتهديدهم يؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يتركهم يأكلون كما تأكل الأنعام ويتمتّعون ويلهيهم الأمل عن صحيح الاعتقاد وصالح العمل فسوف يعلمون أنّهم هم الأخسرون أعمالاً .

ولّما كان الأمر لله تعالى وحده لا شريك له من قبل ومن بعد فإنّ السّياق يقرّر أنّ ربّ العزّة ما أهلك من قريةٍ ولا أمّةٍ إلاّ ولها كتابٌ معلوم تَرْجَمَتْ إلى عمل معانِيَه ، وأجلٌ معدودٌ استنفدت أيّامه ولياليَه . وبناءً على ذلك ما تسَبق من أمّةٍ أجلَها ووقت انتهائها ولو استعجلت ذلك مِنْ قبيل الاستهزاء ، وما يستأخرون ولو حرصوا على ذلك . وعلى سبيل الاستهزاء يخاطب كفّار قريش المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بالقول : ﴿ ياأيّها الّذى نُزّل عليه الذّكر إنّك لمجنون ﴾ ويُعْرِض كفّار مكّة عن القرآن الكريم معجزة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الكبرى البيانيّة النّافعة في حقّهم وهم أئمّة البيان ، إلى طلب معجزات حسّيّة ، ما يمكن تحقيقه منها محصورٌ بحدود الزّمان والمكان والفئة الّتى تشاهد المعجزة .

إنّ كفّار مكّة يطلبون من باب التّعنّت أن يأتيهم عليه الصّلاة والسّلام بالملائكة من السّماء الّذين يشهدون بصدقه عليه الصّلاة والسّلام . وإنّ جملة : ﴿تأتينا﴾ الّتى

تستعمل في القرآن الكريم دليلاً على البعد ربّما عكست استبعاد القوم المستهزئين إتيان المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بالملائكة . ولّما كان القوم مستهزئين وكان قد سبق علم الله تعالى إلى أنّ الآية المقترحة أو الآيات لو تحقّقت فإنّ القوم المتعنّتين لن يؤمنوا فقد تحوّل السّياق إلى تقرير سنّة الله تعالى في المتعنّتين السّابقين أمثالهم . إنّ سنّة الله تعالى قد خلت بشأن المصرّين على الكفر بعد تحقّق الآية المقترحة أو الآيات أن يأخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر فلا يؤخّرون لتوبة ولا يُمْهَلون لَمعْذِرة . وإذا كان الكافرون قد طلبوا الملائكة أن تنزل من السّماء بصدق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وهم يقصدون الاستهزاء ويضمرون الإصرار على التّكذيب فإنّ السّياق تحوّل إلى الحديث عن معجزة الذّكر الحكيم النّازل هو الآخر من السّماء بواسطة مَلَكٍ كريم على قلب رسولٍ من البشر كريم . وإذا كان الكافرون قد استعملوا في استهزائهم لفظة الذّكر فإنّ ربّ العزّة يبيّن في المقابل أنّه هو جلّ وعلا الذى نزّل الذّكر ، وأنه جلّ وعلا سوف يحفظه إلى يوم الدّين .

وهكذا يتّصف أعداء الله تعالى بالكفر والافتتان بالحياة الدّنيا والتّكذيب والاستهزاء . وبقصد تسلية المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يقرّر السّياق أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ليس بِدْعاً من الرّسل السّابقين ، وأنّ كفّار مكّة ليسوا بِدْعاً من الأمم المكذّبة المستهزئة فعليهم أن يتّعظوا بما حلّ بالسّابقين وإلّا حقّت عليهم كلمة العذاب . وقد تمكّن التّكذيب من كفّار قريش إلى الدّرك الذّين يكذّبون معه كلّ آيةٍ مقترحة ولو كانت فُتِحَ بابٍ من السّماء عليهم فيظلّون في وضح النّهار يرقَوْن درجاته . إنّهم يزعمون تارةً أنّ أبصارهم قد سُكِّرَت وسُدّت فهم لا يرون شيئا . وإنّهم حينما يتبيّنون أنّهم يرون شيئاً خلافاً لكذبهم هم يزعمون تارةً أخرى أنّهم قومٌ مسحورون مغلوبون بقُوًى خفيّةٍ شرّيرة تجعلهم يرون غير شيءٍ شيئاً . ومن البّين أنّ القول : ﴿سُكِّرت أبصارنا﴾ يتعلّق بالمانع الخارجيّ وأنّ القول : ﴿بل نحن قومٌ مسحورون﴾ يتعلّق بالمانع الدّاخليّ .

﴿سخّر اللّه تعالى ما في السّماوات والأرض للإنسان الّذى سوف يُحْشَرُ إليه جلّ وعلا﴾

الآيات (١٦ ــ ٢٧)

كان حظّ السّماء موفوراً في آيات القسم السّابق فالقرآن الكريم ينزل من السّماء وكذلك الملائكة والعذاب هذا إلى أنّ باباً من السّماء لو فتحه الله تعالى على كفّار مكّة

تلبيةً لطلبهم وأخذوا في وضح النّهار يرقَوْن سُلَّمه لأنكروا تلك الآية ، وكأنّ هذا النّوع من الدّرجات إلى السّماء حملنا إلى حديث آيات هذا القسم ابتداءً عن السّماء . فالله تعالى جعل في السّماء بروجاً هي منازل الشّمس والقمر ولذلك علاقةٌ بالحقّ . وزيّن السّماء الدّنيا بالكواكب ولذلك علاقةٌ بالجمال . وحفظها من كلّ شيطانٍ رجيمٍ طريد إلّا من استرق منهم السّمع فأتبعه شهابٌ ثاقب . وإنّ طرد الشّرّ من أجل الخير . وبذلك نحن أمام الحقّ والخير والجمال . ولّما كانت الأشياء تتبين بأضدادها فقد تحوّل السّياق من الحديث عن السّماء إلى الأرض . إنّ الله تعالى مدّ الأرض لمصلحة الإنسان ، وجعل فيها الجبال الرّواسي حتّى لا تضطرب بالإنسان ، وأنبت فيها من كلّ شيءٍ من أجل الإنسان ، وجعل فيها معايش للإنسان ومن لا يزرقه الإنسان من خدمٍ وحشمٍ وحاشية بل الله سبحانه وتعالى هو الّذى يرزقهم فعلى الإنسان أن يعرف حقيقة قدره وألّا يطغى . وإنّ الله سبحانه وتعالى الرّزّاق ذا القوّة المتين هو الّذى عنده وحده لا شريك له خزائن كلّ شيء وما ينزّله جلّ وعلا إلّا بقَدَرٍ معلوم وأجلٍ معدود وكّميّة محدودة لأنّ الله سبحانه وتعالى لو بسط الرّزق لعباده لبغوا في الأرض . وربّما سبق إلى رُوع بعضنا أنّ له نوعاً من السّلطة على شيءٍ من الأشياء فنفى السّياق ذلك عن طريق التّنبيه إلى أنّ الماء الّذى هو أهون موجود ليس لمخلوقٍ واحدٍ سُلْطةٌ على شيءٍ منه فالله تعالى هو الّذى يُرْسل الرّياح فتلقح السّحب فتمطر حيث يشاء الله تعالى وحده لا شريك له فيُسْقى ربّ العباد الأرض والمواشي والأنعام من أجل النّاس الّذين لا يستطيعون خزن الماء بمنعه عن الآخرين أو بادّخاره لأنفسهم . ولّما كان ربّ العزّة قد جعل من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ وكانت الحياة ضدّ الموت فقد قرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى هو المحيى المميت الوارث الّذى علم الأموات المستقدمين وعلم الأموات المستأخرين إلى يوم الدّين . ولّما كان الحشر إلى الله تعالى يكون بعد الموت فقد نصّ السّياق على ذلك . ولّما كان حشر النّاس إلى الله تعالى بعد الموت يتعلّق بالنّهاية وكانت بداية هذا الجنس تتعلّق بآدم عليه السّلام فقد عاد السّياق إلى البداية فتحدّث عن خلق آدم عليه السّلام من طينٍ يابسٍ أسود متغيّر ، واستمرّ في عودته إلى الوراء فتحدّث عن خلق إبليس اللّعين من نارٍ السّموم الحارّة المحرقة قبل آدم عليه السّلام .

﴿تمادى اللّعين في غيّه ، وتهديده بإغواء بنى آدم ، وعذاب الغاوين ، وثواب المتّقين﴾
الآيات (٢٨ ـ ٤٨)

بعد حديث الآيتين الكريمتين الأخيرتين من القسم السّابق عن خلق الله تعالى آدم عليه السّلام من طين ، وخلق الشّيطان الرّجيم من نار ، تحدّث السّياق في هذا القسم عن خلق آدم عليه السّلام وعداوة اللّعين لآدم عليه السّلام وجنس الإنسان . إنّ السّياق يبدأ بأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يذكر إذ قال ربّ محمدّ صلّى الله عليه وسلّم ربّ العالمين للملائكة الأطهار بأنّه جلّ وعلا سوف يخلق بشراً من صلصالٍ من حمأٍ مسنون . فإذا سوّاه سواه جلّ وعلا في أحسن تقويم وأجمل صورةٍ كما اقتضت حكمته جلّ وعلا ونفخ فيه عزّ وجلّ من روحه فإنّ على الملائكة أن يبادروا إلى السّجود لآدم عليه السّلام سجود تحيّة وتكرمة لا سجود عبادة : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ ولم يعص هذا الأمر الإلهيّ واحدٌ منهم إلاّ إبليس اللّعين الّذى كان من الجنّ بل كان أبا الجنّ فإنّه أبى أن يكون مع السّاجدين . وحينما سأله ربّه جلّ وعلا ليعلم علم ظهور ما منع اللّعين من أن يكون مع السّاجدين كان عذره قبيحاً كفعله . إنّه يقول بصريح اللّفظ إنّه لم يكن ليسجد لبشرٍ خلقه جلّ وعلا من صلصالٍ من حمأٍ مسنون لأنّ الطّين في نظر اللّعين لا يسمو سموّ النّار . وغفل اللّعين عن نفخ الله تعالى من روحه في ذلك الصّلصال من الحمأ المسنون . ويأمر الله تعالى اللّعين أن يخرج من الملأ الأعلى والسّماوات العُلَى فإنّه مرجومٌ مطرودٌ مذموم ، وإنّ عليه اللّعنة والإبعاد من رحمة الله تعالى إلى يوم الدّين والجزاء يوم القيامة . ويطلب اللّعين من ربّ العالمين أن يمهله إلى يوم يبعث الخلائق حينما ينفخ إسرافيل النّفخة الثّانية فيحيا الخلائق بإذن الله تعالى . وإنّما أراد اللّعين أن يضمن الخلود . وإنّ ربّ العزّة يمهل اللّعين إلى يوم الوقت المعلوم حينما ينفخ إسرافيل النّفخة الأولى فيموت الخلائق بإذن الله تعالى إلاّ من شاء الله تعالى من الملائكة والحور والولدان . ويتمادى اللّعين في تعاليه واستكباره . ويبيّن أنّه بسبب إغواء الله تعالى له ، حسب زعمه ، حينما أمره بالسّجود لمن هو أدنى منه ، حسب زعمه ، فإنّه سوف يزيّن لجنس الإنسان في الأرض كلّ قبيح وليغوينّهم أجمعين إلاّ عباد الله تعالى المخلَصين المختارين . وإنّ ربّ العزّة الّذى لا يظلم مثقال ذرّة لا يؤاخذ

اللّعين بتهديده وبوعيده إنّما بعمله وذلك بعد تبيين معالم الصّراط المستقيم إليه جلّ وعلا . إنّ ربّ العزّة يؤكّد للّعين بأنّه ليس له سلطانٌ وقوّةٌ على عباد الله تعالى ، إنّما سلطانه على من اتّبعه منهم من الغاوين . ومصير هؤلاء الغاوين جهنّم الّتى لها سبعةُ أبوابٍ لكلّ بابٍ منهم جزءٌ مقسوم ومعلوم . وفي المقابل هنالك المتّقون في جنّات وعيون . ويقال لهم ادخلوا الجنّة بسلامٍ وطمأنينةٍ وأمنٍ . وينزع الله تعالى من صدور المتّقين فضلاً عن قلوبهم وأفئدتهم كلّ غِلٍّ وعداوةٍ للمتّقين أمثالهم فيظهرون أخواناً على سررٍ متقابلين لا يرى بعضهم ظهور بعض . وفي الجنّة لا يمسّهم تعب ، وليسوا من الجنّة بمخرجين بغير إرادتهم ومن باب الأَحْرى هم لا يخرجون بإرادتهم .

﴿عذاب اللّه تعالى القادر على كلّ شيءٍ يصيب قوم لوطٍ وشعيبٍ وصالحٍ عليهم السّلام﴾
الآيات (٤٩ ـ ٨٤)

يأمر السّياق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن ينبّىء عباد الله تعالى المخلصين المنتفعين حقيقةً من تعاليم القرآن الكريم بأن الله تعالى هو الغفور الرّحيم وبأنّ عذابه جلّ وعلا هو العذاب الأليم ، وأن ينبّئهم عن ضيف إبراهيم عليه السّلام من الملائكة الكرام . وفي شيءٍ من الإيجاز يتحدّث السّياق عن هؤلاء الملائكة الّذين ألقوا السّلام وحينما لم تمتدّ أيديهم إلى الطّعام أوجس في نفسه خيفةً أن يكونوا أعداءً فنهوه عن الخوف وبشروه بغلامٍ عليم من زوجه العقيم وهو الشّيخ الكبير . ولّما كان عليه السّلام قد مسّه الكبر ولا يخفى عليه عجزه من جهةٍ والقدرة المطلقة للذّات العليّة من جهةٍ أخرى فقد أراد عليه السّلام أن يستوثق بشأن الجانب الّذى يخصّه من البشارة وهو كبر سنّه عليه السّلام ويلحق بذلك زوجه العقيم . أمّا الجانب ذو العلاقة بالذّات العلية فإنّ الملائكة الكرام تنهى إبراهيم عليه السّلام بشأنه أن يقنط من رحمة الله تعالى . ويبيّن إبراهيم عليه السّلام أنّه لا يقنط من رحمة ربّه جلّ وعلا إلّا القوم الضّالّون ، ويسألهم عليه السّلام عن الشّأن الخطير الّذى جاءوا من أجله وراء البشارة فيخبرونه أنّهم أرسلوا إلى قوم لوطٍ عليه السّلام المجرمين الّذين حقّت عليهم كلمة العذاب وفيهم امرأة لوطٍ عليه السّلام باستثناء المؤمنين من أتباعه عليه السّلام . وجاء الملائكة لوطاً عليه السّلام الّذى

نَكِرَهُمْ كما نكرهم إبراهيم عليه السّلام وأخبروه بأنّهم جاءوا بالهلاك الّذى شكّ فيه قوم لوطٍ عليه السّلام وأتوا بالعذاب الحقّ والوعيد الصّدق . وأمروه عليه السّلام أن يسير بأهله الّذين نجّاهم الله تعالى معه آخر اللّيل بِسَحَر ، وأن يكون خلف أهله كي يطمئنّ إلى خروجهم جميعاً من القرية الظّالم أهلها وأن يمضي مع المؤمنين من أتباعه إلى الشّام حيث يؤمرون ، ونهوهم أن يلتفت أحدٌ منهم وراءه حينما يحلّ بالقوم الكافرين العذاب صباحاً . وجاء أهل مدينة سدوم يستبشرون بإتيان الشبّان المرد الجميلى الصّورة الّذين يجهلون أنّهم ملائكة . وكان موقف لوطٍ عليه السّلام عصيباً . فأخبر قومه أنّ هؤلاء ضيفه فعليهم ألاّ يفضحوه فيهم وعليهم أن يتّقوا الله تعالى ولا يخزوه . وينكر القوم المجرمون على لوطٍ عليه السّلام مخالفته لنهيهم له أن يَضِيفَ أحداً من النّاس وإلاّ نالوهم بأذى .

ويَعْرض عليه السّلام على قومه بناته كي يتزوّجوهنّ ويلحق بهنّ بنات المؤمنين كي يتزوّجوهنّ فهنّ أطهر لهم من الذّكران ولكنّ القوم يصرّون على إتيان المنكر . وتجاه العمل الشّنيع الّذى يصرّ القوم على إتيانه بباعث الشّهوة الجامحة الّتى غطّت على عقولهم وبصائرهم وتنبيهاً على الجرم الفظيع الّذى يحرص القوم على ارتكابه يجىء في القرآن الكريم القَسَم الوحيد بحياة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وذلك في القول : ﴿ لعمرك إنّهم لفى سكرتهم يعمهون ﴾ فأخذت صيحة جبريل عليه السّلام القوم وقت شروق الشّمس ، وجعل الله تعالى عالي قرى قوم لوطٍ عليه السّلام سافلها وأمطر عليهم حجارةً من طينٍ مطبوخ . ويقرّر السياق أنّ في ذلك القصص لآياتٍ للمتفرّسين المعتبرين ، وأنّ قرى قوم لوطٍ بطريقٍ واضحٍ ثابتٍ يمرّ به أهل مكّة مصبحين وباللّيل فكان عليهم أن يأخذوا العبرة ، وأنّ في كلّ ما ذُكِر لآيةً للمؤمنين وعبرةً للمتّقين وعظةً للمعتبرين .

وليس قوم لوطٍ عليه السّلام وحدهم هم الّذين يمرّ بهم أهل مكّة في سفرهم إلى الشّام ، ولكنّهم يمرّون كذلك بأصحاب الأيكة أهل مدين قوم شعيب عليه السّلام ، وثمود أصحاب العُلا والحِجْر قوم صالحٍ عليه السّلام . إنّ أصحاب الأيكة كانوا ظالمين بتكذيب شعيبٍ عليه السّلام فانتقم الله تعالى منهم فأخذهم عذاب يوم الظّلّة . وإنّ أصحاب الحجر كذّبوا صالحاً عليه السّلام ، وأعرضوا عن آيات الله تعالى وفي مقدّمتها النّاقة ، ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين ﴾ فأخذتهم الصّيحة الواحدة الطّاغية في هيئة الصّاعقة الّتى أخذتهم وهم ينظرون ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ وما دفع

عنهم العذاب ما كانوا يجمعون من حطام الدّنيا الزائف ومجدها الزّائل حينما أخذتهم صيحة اليوم الرّابع من يوم عقرهم النّاقة . وحينما تتحدّث السّورة الكريمة عن إبراهيم عليه السّلام الّذى كان آنذاك في الشّام وعن ابن أخيه لوطٍ عليه السّلام الّذى بعثه الله تعالى إلى أهل سدوم وما حولها من قرى وعن أصحاب الأيكة أهل مدين بالقرب من عُمان في الشّام وعن أصحاب الحجر والعلا ومدائن صالح يلاحظ أنّ الجامع بين هؤلاء المصطفين الأخيار والجامع بين أقوامهم أنّ أهل مكّة يمرّون بأماكنهم مصبحين وباللّيل في أثناء سفرهم وبخاصّة في رحلة الصّيف إلى الشّام . ويدور حديث آخر أقسام السّورة بعد ذلك حول أهل مكّة قوم المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الكافرين المستهزئين في مجموعهم من ناحية وحول تسلية المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في هذه الفترة المبكّرة من تاريخ الدّعوة الإسلاميّة في مكّة .

﴿تهديدٌ لكفّار مكّة المستهزئين وتثبيتٌ للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين﴾
الآيات (٨٥ ـ ٩٩)

بقصد حمل كفّار مكّة المنكرين للبعث على الإيمان بيوم القيامة يقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة ما خلق السّماوات والأرض وما بينهما إلّا بالحقّ ومن أجل غايةٍ ساميةٍ وهدفٍ نبيل بأن يفرد المكلّفون الله تعالى بالعبادة كي ينال الجميع جزاءه . ولّما كان القتال إنّما أُذِن به بعد الهجرة فإنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يؤمر بأن يصفح عن الكافرين الصّفح الجميل ، ولّما كان البعث يعنى إعادة الخلق فإنّ السّياق يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى هو الخلّاق العليم . وبشأن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الّذى تكاد تذهب نفسه حسراتٍ لإعراض قومه عليه الصّلاة والسّلام عنه فإنّه عليه الصّلاة والسّلام بقصد تثبيت فؤاده ينبّه إلى جيشه الأعظم وسلاحه الأكبر وهو القرآن الكريم الّذى يشار إليه وإلى سورة الفاتحة أعظم سوره وهي السّبع المثانى . وفي الحديث عن القرآن الكريم تنبيهٌ إلى الجهاد به جهاداً كبيراً وفي الحديث عن سورة الفاتحة تنبيهُ إلى الصّلاة الّتى تثنّى فيها السّورة الكريمة المؤلّفة من سبع آياتٍ كريمات . إنّ في تطبيق تعاليم القرآن الكريم غناءً عن أن يمدّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، الأسوة الحسنة للدّعاة ، عينيه إلى ما متّع الله تعالى به أزواجاً من الكافرين بزوجاتهم الجميلات ، وهنّ هنا رمزٌ لمتع الحياة الدّنيا الفانية . وإنّ على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ألا يهلك نفسه حزناً لإعراض الكافرين عنه ،

وعليه في المقابل أن يخفض جناحه للمؤمنين ويلين جنبه للمتّقين . وفي هذه الفترة غير المسموح فيها بالقتال ، على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول للنّاس إنّه هو النّذير البيّن النّذارة ، وإنّ ربّ العزّة سينزل عذابه الأليم بالمكذّبين كما أنزل عذابه على كفّار مكّة الّذين اقتسموا القرآن الكريم أو اقتسموا طرقات مكّة بقصد التّحذير من المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، والّذين اتّهموا القرآن الكريم في هيئة اتّهام الجزء الواحد منه والقِسمْ الواحد والعضو الواحد بالتّهم الزّائفة من كونه سحراً أو شعراً أو كهانةً أو أساطير الأوّلين وما إلى ذلك من تفاهات الكافرين . إنّ ربّ العزّة يقسم بربّ محمدّ صلّى الله عليه وسلّم ربّ العالمين بأنّ أولئك المكّذبين سوف يُسْألون أجمعين عمّا كانوا يعملون . فعليه صلّى الله عليه وسلّم أن يصدع بما يؤمر وأن يجهر بالدّعوة إلى الله تعالى بعد أن كانت سرّيةً وأن يعرض عن المشركين فقد كفاه الله تعالى شرور المستهزئين . ﴿ الّذين يجعلون مع الله تعالى إلهاً آخر فسوف يعلمون ﴾ ولّما كانت المهمّات الّتى يقوم بها صلّى الله عليه وسلّم شاقّةً من الوجهتين النفسيّة والبدنيّة فإنّ السّورة الكريمة ترشد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في آخرها كما ترشد كلّ داعية إلى السّلاح النّاجح في الأزمات والدّواء النّاجع . إنّه قول : سبحان الله وبحمده ، واللّجوء إلى الصّلاة فرضها ونفلها ، وإفراد الله تعالى بالعبادة حتّى يأتي الموتُ الموقَنُ به العبد المجاهد في الله تعالى حقّ الجهاد والّذي هداه الله تعالى سبله جلّ وعلا . ويلاحظ أنّ آخر السّورة كأوّلها يتحدّث في تثبيت فؤاد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وذلك نوع من أنواع الرّباط بين أجزاء السّورة الكريمة وأقسامها .

التَّفْسِيرُ

﴿يزيد اللّه تعالى الكافرين المستهزئين عمًى إلى عماهم فلا يؤمنون بكلّ آية﴾
الآيـات (١ ـ ١٥)

الٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾

تبدأ الآية الكريمة الأولى بالحروف المقطّعة : ﴿الر﴾ وسورة الحِجْر المكّيّة هذه واحدةٌ من تسعٍ وعشرين سورةً تبدأ بهذه الحروف المقطّعة . ولّما كانت سورة البقرة أولى هذه السّور فإنّا قد بيّنا هنالك بعض معاني هذه الحروف والمعنى المختار منها .

وعلى عادة السّور الّتى تبدأ بهذه الحروف في الانتصار للقرآن الكريم على الفور أو على التّراخى يأتى الانتصار للقرآن في هذه الآية الكريمة الأولى ذاتها . ويصحّ أن يُفْهَمَ أنّ هذه الحروف الثلاثة ﴿الر﴾ ينبّه ترتيبها في هذا النّسق على كثرة هذه الحروف في الكلام وفق هذا التّرتيب . ويصحّ أن نجد في الآية الكريمة ذاتها الدّليل على هذا الرّأي . إنّ بقيّة الآية الكريمة يجيء فيها حرف الألف أربع مرّات ، في حين يجيء حرف اللّام مرّتين اثنتين . وحرف الرّاء مرّةً واحدة .

وتشير الآية الكريمة إلى الرّفيع من سناء آيات الكتاب العزيز باسم الإشارة : «تلك الدّالّ على البعد . وهي آيات الكتاب وآيات القرآن . ويوصف القرآن الكريم بأنّه مبينٌ عن معانيه ، مفصحٌ عن أهدافه ومراميه . ويقول الزّمخشرى[1] : «وتنكير القرآن للتّفخيم . والمعنى تلك آيات الكتاب في كونه كتاباً وآي قرآنٍ مبين . كأنّه قيل : الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان» وحينما نكون بصدد آيات كتاب ، وبصدد قرآن ، وبصدد الصّفة مبين نكون بصدد ثلاثة معانٍ إثر الحروف المقطّعة الثّلاثة .

وإنّ لفظة : كتاب ، تشير إلى وسيلة الكتابة أو السّطر في حفظ هذا الكتاب العزيز ، وإنّ لفظة : قرآن ، تشير إلى وسيلة القراءة أو الصّدر في حفظ هذا الكتاب العزيز . وإنّ وسيلتي الحفظ ، الكتابة والقراءة تقذفان إلى ذهننا بالآية الكريمة التّاسعة في هذا القسم من السّورة الكريمة الّتى تنصّ على حفظ الله تعالى القرآن الكريم إلى يوم الدّين . قال تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون ﴾ ومن آي الذّكر الحكيم الّتى أشارت إلى دور السّطر والصّدر في الحفظ قول الحقّ جلّ وعلا في سورة العنكبوت[2] : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب

---

(١) الكشّاف ٢/١٨٦ .

(٢) الآية ٤٨ و ٤٩ .

المبطلون . بل هو آياتٌ بيّناتٌ في صدور الّذين أوتوا العلم . وما يجحد بآياتنا إلاّ الظّالمون ﴾ .

ولّما كان الكافرون أكثريّةً في هذه الفترة المكّيّة المبكّرة من تاريخ الدّعوة الإسلاميّة فإنّ الآية الكريمة التّالية تتحدّث عن أولئك الكافرين . فإلى الآية الكريمة .

رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

رُبَما : جاء في لسان العرب[1] : «الّتهذيب : قال النّحويّون : رُبَّ من حروف المعانى ، والفرق بينها وبين كم أنّ رُبّ للتّقليل وكم وُضِعَتْ للّتكثير ، إذا لم يُرَدْ بها الاستفهام ، وكلاهما يقع على النّكرات فيخفضها . . قال الزّجّاج : من قال إنّ رُبّ يُعْنى بها التّكثير فهو ضدّ ما تعرفه العرب . فإن قال قائل : فَلِمَ جازت رُبَّ في قوله : ربما يودّ الّذين كفروا ، وربّ للّتقليل ؟ فالجواب في هذا أنّ العرب خوطبت بما تعلمه في الّتهديد . والرّجل يتهّدد الرّجل فيقول له : لعلّك ستندم على فعلك ، وهو لا يشكّ في أنّه يندم .

ويقول : ربّما ندم الإنسان من مثل ما صَنَعْتَ ، وهو يعلم أنّ الإنسان يندم كثيراً ، ولكنْ مجازه (معناه) أنّ هذا لو كان ممّا يُوَدّ في حالٍ واحدةٍ من أحوال العذاب ، أو كان الإنسان يخاف أن يندم على الشّيء ، لوجب عليه اجتنابه . والدّليل على أنّه على معنى الّتهديد قوله : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا . والفرق بين رُبّما ورُبَّ أنّ رُبَّ لا يليه غير الاسم ، وأمّا ربّما فإنّه زيدت ما مع ربّ لِيليَها الفعل ، تقول : رُبّ رجلٍ جاءنى ، وربّما جاءنى زيد ، ورُبَّ يومٍ بكرت فيه ، ورُبَّ خمرةٍ شربتها .

ويقال : ربّما جاءنى فلانٌ ، وربّما حضرنى زيد . وأكثر ما يليه الماضى ، ولا يليه من الغابر (المستقبل) إلاّ ما كان مستيقناً ، كقوله تعالى : ﴿ رُبَما يودّ الّذين كفروا ﴾ ووَعْدُ الله حقّ . كأنّه قد كان فهو بمعنى ما مضى ، وإن كان لفظه مستقبلاً »[2]

ورُبَّ لم تقع في القرآن إلاّ في هذه السّورة على كثرة وقوعها في لسان العرب[3]

---

(١) «ربب» وما بين قوسين زيادةٌ اقتضاها السياق ،

(٢) وانظر هنا الكشّاف ١٨٦/٢ وتفسير ابن عطيّة (طبعة المجلس العلمى بفاس) ١٠ /١٠٧ والبحر المحيط ٤٤٢/٥ .

(٣) البحر المحيط ٤٤٢/٥ .

تبيّن أنّ رُبّ تفيد أساساً التّقليل وهي في الآية الكريمة تفيد التّكثير ، كما تبيّن أنّ ربّما تدخل أساساً على الفعل الماضى وهي في الآية الكريمة تدخل على الفعل المضارع الّذى يفيد معنى الفعل الماضى لثبوت تحقّق الحدث فكأنّه مضى وانقضى . وإنّ أمثال هذه المعانى القرآنيّة الرّائدة تحملنا على النّظر إلى : «ربّما» من زاوية الرّيادة ذاتها فنذهب إلى القول بأنّها هنا تومىء إلى شيءٍ من الإيجاب وذلك على غرار إفادة عسى معنى الإيجاب حينما تتعلّق بالمشيئة الإلهيّة وذلك في مثل قوله عزّ من قائل[1] : ﴿ فترى الّذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرةٌ . فعَسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ﴾ .

إنّ الّذين كفروا حينما يرون يوم القيامة المؤمنين المتّقين يُحْشَرون إلى الرّحمن جلّ وعلا في هيئة الوفود المكرّمة المبجّلة في حين يساق الكافرون المجرمون إلى جهنّم عطاشاً يودّون لو أنّهم كانوا مسلمين لله ربّ العالمين من أفراد أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم . وينبغى أن يكون هذا التّمنّى مصاحباً للكافرين في كلّ المواطن الّتى أدركوا فيها أنهم هم الأخسرون أعمالاً بما في ذلك الوقت الّذى تتوفّاهم فيه الملائكة ظالمى أنفسهم .

وإنّ التّهديد الّذى نفهمه هنا تصرّح به الآية الكريمة التّالية .

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

بجامع التّهديد والاحتقار للكافرين ، يؤمر عليه الصّلاة والسّلام ، في هذه الفترة المكّيّة الّتى لم يؤذن فيها بَعْدُ بالقتال ، بأن يذر الكافرين وشأنهم ، وأن يتركهم كي يأكلوا كما تأكل الأنعام لأنّ الكافر يعيش ليأكل ، وكي يتمتّعوا وينعموا بمتع هذه الحياة الأولى الفانية ونعيمها الزّائل ، وكي يلهيهم الأمل عن الإيمان ، وتشغلهم الأماني والأوهام عن جليل الأعمال والاستعداد ليوم القيامة المجموع له النّاس المشهود . إنّ هؤلاء الكافرين المنصرفين عن جدّ الأمور إلى هزلها سوف يعلمون يوم القيامة أنّهم هم الأخسرون أعمالاً ويحسبون أنّهم يحسنون صنعا .

ولمّا كان الأمر لله تعالى من قبل ومن بعد فقد أومأت الآيتان الكريمتان التّاليتان إلى بعض هذه المعانى .

---

(١) سورة المائدة ٥٢ .

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾

الصّراع بين الخير والشّرّ ، الحقّ والباطل أزليّ . وربّما كان للشرّ والباطل الجولة الأولى أو الجولات الأولى ولكنّ العاقبة بإذن الله تعالى للخير والحقّ والمتّقين . وربّما استعجل الكافرون العذاب استهزاءً بالرّسل وبالمؤمنين . ولا يملك الرّسل والمؤمنون شيئاً . إنّ الأمر كلّه لله تعالى . وإذا حلّ العذاب بالكافرين بإذن الله تعالى لا يملكون له صَرْفاً ولا دفعاً . وإنّ الآيتين الكريمتين اللّتين نحن بصددهما تومضان بأمثال هذه المعانى .

إنّ الآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى لم يهلك المكذّبين من أهل أيّ قريةٍ إلّا ولها كتابٌ معلومٌ تترجم معانيه إلى أعمال ، وأجلٌ محدّدٌ ويومٌ موعود يأخذها الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدرٍ عند استيفائه وانتهائه . وذلك معناه أنّ كلّ أمّةٍ لا تسبق ذلك الأجل ولا تتأخّر عنه . وهذا المعنى المفهوم هو ما صرّحت به الآية الكريمة التّالية .

إنّ الآية الكريمة الثّانية تقرّر أنّ أيّ أمّةٍ من الأمم ما تسبق أجلها والوقت الّذى قدّر الله تعالى فيه هلاكها وما يستأخرون عن ذلك الوقت المحدّد والموعد المضروب .

ولّما كان الكافرون إنّما يستعجلون العذاب من قبيل الاستهزاء لأنّهم من أشدّ النّاس حِرْصاً على الحياة فمن حقّنا أن نذهب إلى أنّ القول : ﴿ ما تسبق من أمّةٍ أجلها ﴾ يتعلّق أساساً بتمنّى أهل الحقّ حلول العذاب العاجل بالكافرين المستهزئين ، وأنّ القول : ﴿ وما يستأخرون ﴾ يتعلّق بتمنّى أهل الباطل صَرف العذاب عنهم . إنّ هؤلاء وهؤلاء ليس لهم من الأمر من شيء . وإنّ الأمر كلّه لله تعالى الواحد القهّار[1] .

وهكذا يتبيّن أنّ الآيتين الكريمتين معمّقتان لمعنى الآية الكريمة الثّالثة الّتى قرّرت أنّ الكافرين ألهاهم الأمل فتمتّعوا وأكلوا كما تأكل الأنعام . وبذلك جمع القوم بين الكفر والغفلة إضافةً إلى الاستهزاء الّذى نصّت عليه الآيتان الكريمتان التّاليتان .

---

(١) انظر هنا ـ مثلاً ـ الآيتين الكريمتين ٥٧ و ٥٨ من سورة الأنعام والآية ١٢٨ من سورة آل عمران .

وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ كفّار مكّة قالوا على سبيل السّخرية والاستهزاء ، خطاباً للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم الّذى اصطفاه الله تعالى بآخر الكتب السّماويّة وأشرفها : ياأيّها الّذى يزعم أنّه نُزّل عليه الذّكر الحكيم والقرآن الكريم من ربّ العالمين بواسطة الملك جبريل عليه السّلام إنّك لمجنون : ﴿ كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذبا ﴾[1] وحينما يكون الذّكر ، وهو هنا بمعنى القرآن الكريم ، متعلّقاً باستحضار ما يقتنيه المرء من معرفةٍ في ذاكرته أو في نفسه[2] وتكون صفة الجنون متعّلقةً بالمعنى المقابل إلى حدّ فقد الذّاكرة وفقد العقل يكون التّقابل في المعاني أو الصّفات قوّةً لإظهار الاستهزاء في أقبح صوره وأحطّ حالاته .

والدّليل على الدّرك السّحيق للاستهزاء انصراف الكافرين عن معجزة الذّكر الحكيم البيانيّة ، وهم أمّة البيان ، إلى طلب الملائكة أن يأتوا شهوداً على أنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم رسول ربّ العالمين وأنّ الله تعالى اصطفاه بالذّكر الحكيم والقرآن المبين . إنّ القوم يعرضون عن معجزة القرآن الكريم البيانيّة الّتى يفهمونها حقّ الفهم ويتحوّلون إلى طلب معجزةٍ أخرى محسوسةٍ تقلّ عن الذّكر الحكيم في مجال الإقناع ممّا يعتبر دليلاً على أنّ القوم لا ينقصهم الحجّة ولكنهم متعنّتون . ويتأكّد تعنّت القوم حينما نتلو مثل هاتين الآيتين الكريمتين من سورة الأنعام[3] : ﴿ وقالوا لولا أُنْزِل عليه مَلَك . ولو أنزلنا مَلَكاً لَقُضِي الأمر ثمّ لايُنْظَرون . ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ والمعنى أنّ كفّار مكّة طلبوا أن ينزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ملكٌ يشهد أنّه رسول ربّ العالمين . وقد سبق علم الله تعالى إلى أنّ القوم بعد نزول الملك الّذى اقترحوا لن يؤمنوا وفي ذلك هلاك القوم واستئصال شأفتهم فتلك سنّة الله

---

(١) سورة الكهف ٥ .

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «ذكر» ٧٩ .

(٣) الآية ٨ و ٩ .

تعالى فى كلّ المكذّبين السّابقين . ولّما كان ربّ العزّة لم يشأ هلاك كفّار مكّة وقد قال عزّ من قائل[1] : ﴿ وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم . وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ فإنّ ربّ العزّة لم يلبّ طلب كفّار مكّة لأنّهم لو أصرّوا على كفرهم بعد تحقّق الآية التى اقترحوا لن يُنْظَروا لتوبةٍ ولا مَعْذِرة . ولو فُرِض أنّ الملك نزل بإرادة الله تعالى لكان في هيئة رجلٍ لأنّ طبيعة البشر لا تقوى على رؤية الملك في صورته الحقيقيّة وفي هذه الحال يقول الكافرون إنّ هذا الّذى نرى رجلٌ ونحن نريد ملكاً . وهكذا يتحوّل الكافرون من لبسٍ على أنفسهم وخلطٍ إلى لبسٍ وخلطٍ جديدين ، وهكذا يزيدهم الله تعالى لبساً على لبس ، وخلطاً على خلط ، وحَيْرَةً على حيرة . وإلى نزول الملائكة ومعها العذاب في حال الإصرار على الكفر ، وإلى التّنبيه إلى أنّ معجزة القرآن الكريم هي المفيدة في حقّ كفّار مكّة أشارت الآيتان الكريمتان التّاليتان .

مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟
إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

حيث إنّ علم الله تعالى قد سبق إلى أنّ الملائكة لو نزلت تحقيقاً لطلب كفّار مكّة ، فإنّهم لن يؤمنوا وذلك معناه استئصال شأفة القوم المتعنّتين ، جرياً على سنّة الله تعالى في حقّ المكذّبين المتعنّتين السّابقين ، فقد قرّرت الآية الكريمة الأولى أنّ ربّ العزّة ما ينزّل الملائكة إلّا بالحقّ ، أي بالعذاب[2] ووقتها لا يُمْهَل القوم المصرّون على التّكذيب لتوبةٍ أو مَعْذِرة . وبشأن الأمم المكذّبة السّابقة لم يكشف الله تعالى العذاب إلّا عن قوم يونس عليه السّلام على نحو ما بيّنت هذه الآية الكريمة من سورة يونس[3] قال تعالى﴿ فلولا كانت قريةٌ آمنت فنفعها إيمانها إلّا قوم يونس لّما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ومتّعناهم إلى حين ﴾ .

---

(١) سورة الأنفال ٣٣ .

(٢) انظر تفسير الطّبرى ٧/١٤ وتفسير ابن كثير ٥٤٧/٢ والبحر المحيط ٤٤٦/٥ والكشّاف ١٨٧/٢ وتفسير ابن عطيّة ١١١/١٠ .

(٣) الآية ٩٨ .

ولّما كانت معجزة القرآن الكريم البيانيّة هي الأكثر ملاءمةً لكفّار قريش أئمّة البيان فقد تحوّلت الآية الكريمة الثّانية إلى الحديث في هذه الآية البيّنة والمعجزة الخالدة . وعلى عادة القرآن الكريم في إضافة الجديد من المعانى فإنّ الآية الكريمة بعد أن تقرّر تنزيل الله تعالى الذّكر الحكيم تقرّر حفظ الله تعالى هذا الذّكر الحكيم والقرآن الكريم والكتاب العزيز إلى يوم الدّين . واللّطيف في الآية الكريمة أنّ كلاًّ من معنييها الاثنين يتأكّد بمؤكّدين اثنين . بشأن المعنى الأوّل نحن بصدد المؤكّدين : ﴿إنّا نحن﴾ وبشأن المعنى الثّانى نحن بصدد القول : ﴿إنّا﴾ وبصدد اللّام المزحلقة للتّوكيد من القول : ﴿لحافظون﴾[1] .

ويلاحظ أنّ الآية الكريمة يجيء فيها لفظ الذّكر دليلاً على القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون ﴾ وذلك في مقابل استهزاء كفّار قريش بالرّسول الكريم الّذى نُزّل عليه الذّكر واتّهامهم له عليه الصّلاة والسّلام بالجنون وذلك في القول على لسانهم في الآية الكريمة السّادسة : ﴿ وقالوا ياأيّها الّذى نُزِّل عليه الذّكر إنّك لمجنون ﴾ .

إنّ ربّ العزّة هو الّذى نزّل الذّكر الّذى يستهزىء من أجله كفّار قريش بالرّسول الخاتم صلّى الله عليه وسلّم الّذى نزّل الله تعالى الذّكر على قلبه ، وإنّ ربّ العزّة ليتكفّل بحفظ هذا الذّكر إلى يوم الدّين : ﴿ قل صدق الله ﴾[2]

ومن البيّن أنّ في الآيتين الكريمتين تسليةً غير مباشرة للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، وهذه التّسلية غير المباشرة تتحوّل إلى تسليةٍ مباشرةٍ في الآيتين الكريمتين التّاليتين .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾

في شيع الأوّلين : الشّيع بمعنى الأمم واحدتها شيعة[3] والشّيعة : من يتقوىّ بهم الإنسان وينتشرون عنه[4] .

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨٤/٧ .

(٢) سورة آل عمران ٩٥ .

(٣) انظر تفسير الطّبرى ٧/١٤ وفتح البارى ٣٧٩/٨ وصحيح البخارى ١٠٠/٦ وتفسير ابن عطيّة ١١٣/١٠ والكشّاف ١٨٨/٢ ومفردات الرّاغب الأصفهاني : «شيع» ٢٧١ .

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «شيع» ٢٧١ .

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ ربّ العزّة لقد أرسل رسلاً مِنْ قَبْل الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم . فليس محمّد صلّى الله عليه وسلّم بِدْعاً من الرّسل . الواو استئنافيّة . اللاّم لام القَسَم لقَسَمٍ مقدّر[1] وهكذا يتبيّن أنّ الأسلوب قويّ وليس عاديّاً .

والآية الكريمة الثّانية تقرّر أنّ الأمم السّابقة ما يأتيهم من رسولٍ من ربّهم جلّ وعلا إلاّ كانوا به يستهزئون . فليس كفّار قريش الّذين يستهزئون بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّم الرّسول النّبيّ المختار بِدْعاً من الأمم .

ويزيد الله تعالى الكافرين المستهزئين المجرمين في كلّ زمانٍ ومكانٍ ضلالاً إلى ضلالهم حتّى يأخذهم جلّ وعلا أخذ عزيزٍ مقتدر إن لم يتوبوا إلى الله تعالى توبة نصوحاً . وحول هذه المعانى دارت الآيتان الكريمتان التّاليتان .

كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

كذلك نسلكه : السّلوك النّفاذ في الطّريق . يقال : سلكت الطّريق وسلكت كذا في طريقه . ومن الثّانى قوله : ﴿ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ﴾[2] والهاء في قوله : نسلكه ، من ذكر الاستهزاء بالرّسل والتّكذيب بهم[3] قال ابن المبارك : سمعت سفيان يقول في قوله نسلكه ، قال : نجعله[4] سلك الخيط في الإبرة وأسلكها أدخله فيها ونظمه[5]

وقد خلت سنّة الأوّلين : وقد مضت سنّة الأوّلين[6] على هذه الوتيرة[7] والسّنّة الطّريقة . يقال : تَنَحّ عن سَنَن الطّريق وسُننه وسِنَنه . فالسُّنن جمع سُنّة . وسُنَّةُ الوجه طريقته[8] وسنّة الأوّلين ، طريقتهم الّتى سنّها الله في إهلاكهم[9] .

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨٤/٧ .

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : «سلك» ٢٣٩ .

(٣) تفسير الطّبرى ٧/١٤ .

(٤) تفسير الطّبرى ٨/١٤ .

(٥) البحر المحيط ٤٤٢/٥ والكشّاف ١٨٨/٢ .

(٦) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : «خلا» ١٥٨ .

(٧) تفسير ابن عطيّة ١١٤/١٠ .

(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «سنن» ٢٤٥ .

(٩) الكشّاف ١٨٨/٢ .

اصطلحت على الكافرين مجموعةٌ من العِلل . منها الكفْرُ والإقبال على الدّنيا ومتعها الرّخيصة وتكذيب الرّسول العظيم والقرآن الكريم والاستهزاء بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّم . وسوف نتبيّن في نهاية السّورة الكريمة كفاية الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وسلّم المستهزئين . وفي الآية الكريمة الأولى تضاف إلى صفات الكافرين صفة الإجرام .

ومعنى الآية الكريمة الأولى ، والله تعالى أعلم ، كما سلك الله تعالى وأدخل في قلوب الكافرين المكذّبين السّابقين الاستهزاء برسل الله تعالى إليهم فتأكّد أنّهم مجرمون حقّاً ، سلك الله تعالى في قلوب الكافرين المكذبين من قريش الاستهزاء والتّكذيب للرّسول الكريم والنّبيّ العظيم صلّى الله عليه وسلّم فتأكدّ كذلك أنّهم مجرمون حقّا .

وتبيّن الآية الكريمة الثّانية السّبب الأهمّ وراء العمى الّذى حلّ بالقوم والّذى زادهم الله تعالى منه وهو أنّهم لا يؤمنون بالذّكر الحكيم الّذى أنزله الله تعالى على قلب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . وحينما يصرّ كفّار مكّة على كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم سوف تتحقّق فيهم سنّة الله تعالى الّتى خلت في الأوّلين ومضت في السّابقين بأن يأخذهم الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدر إن هم أصرّوا على موقفهم .

ويبدو أنّ كفّار قريش مصرّون على تعنّتهم وضلالهم على نحو ما بيّنت الآيتان الكريمتان التّاليتان :

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

لقالوا إنّما سُكِّرَتْ أبصارنا : جاء فى لسان العرب[1] : «وفي التّنزيل العزيز : لقالوا إنّما سُكّرت أبصارنا ، أي حبست عن النّظر وحيِّرَت . وقال أبو عمرو بن العلاء : معناها غُطِّيَتْ وغشِّيَتْ . وقرأها الحسن مخفّفة وفسّرها : سُحِرت . . . وقال مجاهد : سكّرت أبصارنا أي سُدَّت . قال أبو عبيد : يذهب مجاهد إلى أنّ الأبصار غشيها ما منعها من النّظر كما يمنع السَّكْر الماء الجارى . . والسَّكْر (بفتح السّين) : سدّ الشّقّ ومُنْفَجَرِ الماء . والسِّكر (بكسر السّين) اسم السِّداد الّذى يُجْعَلَ سَدّاً للشّقّ ونحوه . . . . والسَّكر (بالفتح) المصدر» ويقول ابن عطيّة[2] : «وقرأ السّبعة سوى ابن

(١) «سكر» .

(٢) تفسير ابن عطيّة ١١٥/١٠ .

كثير : سكِّرت بضمّ السّين وشدّ الكاف . وقرأ ابن كثير وحده بتخفيف الكاف» .

تقرّر الآيتان الكريمتان أنّ ربّ العزّة لو فتح على كفّار قريش المتّعنّتين المصرّين على اقتراح الآيات بباعث العناد وليس بباعث نقص الحجّة ، لو فتح ربّ العزّة عليهم باباً من السّماء فظلّوا فيه يعرجون ، واستمرّوا في وضح النّهار[1] يصعدون[2] لقالوا إنّما سكّرت أبصارنا وغُطّيت وغشيَتْ وسدّت بحاجزٍ خارجيّ وبالتّالى نحن لا نرى شيئاً ! بل نحن قومٌ مسحورون قد غَلَبَتْ على أعيننا الّتي في رءوسنا قوًى ساحرةٌ خفيّةٌ قادرةٌ على جعل أعيننا ترى غير شيءٍ شيئاً ! إنّ القوم يتخبّطون في التّحوّل من النّقيض إلى النّقيض . إنّهم يزعمون مرّة أنّهم لم يروا شيئاً . وإنّهم لكاذبون . وإنّهم يزعمون مرّة أخرى أنّهم يرون غير شيءٍ شيئاً . إنّهم بمنزلة المستجير من الرّمضاء بالنّار ، والمتحوّل من الشيء القبيح إلى الشيء الأقبح منه .

---

(١) البحر المحيط ٤٤٨/٥ والكشّاف ١٨٨/٢ .

(٢) تفسير الطّبرى ٩/١٤ وتفسير ابن عطيّة ١١٤/١٠ والبحر المحيط ٤٤٨/٥ .

﴿سخّر اللّٰه ما في السماوات والأرض للإنسان الّذى
سوف يُحْشَر إليه جلّ وعلا﴾
الآيات (١٦ ـ ٢٧)

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾

ولقد جعلنا في السّماء بروجاً : ولقد جعلنا في السّماء الدّنيا منازل للشّمس والقمر . وهي كواكب ينزلها الشّمس والقمر[١] والبروج القصور ، الواحد بُرْج ، وبه سمّي بروج النّجوم لمنازلها المختصّة بها[٢] والبُرْج : واحدٌ من بروج الفَلَك ، وهي اثنا عشر برجاً[٣] ولكلّ برجٍ اسمٌ على حدة[٤]

من البيّن حديث الآيات الكريمات السّابقات المستفيض عن السّماوات . فالقرآن الكريم والملائكة ينزل كلٌّ من السّماء وكذلك العذاب هذا إلى افتراض عروج الكافرين إلى السّماء بعد فتح الباب من السّماء عليهم . وإنّ هذه الآيات الكريمات الثّلاث ذوات علاقةٍ بالسّماء . فقد جعل الله سبحانه وتعالى في السّماء الدّنيا بروجاً وزيّنها جلّ وعلا للنّاظرين وحفظها من كلّ شيطانٍ رجيم قد رجمه الله ولعنه[٥] إلّا من استرق السّمع منهم من السّماء فأتبعه شهابٌ مبين ، وشُعْلةٌ ساطعةٌ من النّار الموقدة[٦] يبين أثره فيه إمّا بإخباله وإفساده أو بإحراقه[٧]

وحينما نتدبّر القول : ﴿ولقد جعلنا في السّماء بروجاً﴾ نتبيّن أنّه يشير إلى حقيقة هذه البروج والعمل المنوط بها وأنّها كواكب ومنازل ينزلها كلٌّ من الشّمس والقمر . وقد قال عزّ من قائل[٨] : ﴿ والشّمس تجرى لمستقرٍّ لها . ذلك تقدير العزيز العليم . والقَمَرَ

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤/١٠ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «برج» ٤١ .

(٣) لسان العرب : «برج» .

(٤) تاج العروس : «برج» .

(٥) تفسير الطّبرى ١٤/١١ .

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «شهب» ٢٦٧ .

(٧) تفسير الطّبرى ١٤/١١ .

(٨) سورة يس ٣٨ و ٣٩ .

قدّرناه منازل حتّى عاد كالعُرْجون القديم ﴾ وهذا العمل لبروج السّماء أو الوظيفة يُعَبّر عنه بالحقّ .

وحينما نتدبّر القول : ﴿وزيّنّاها للنّاظرين﴾ نتبيّن أنّه يشير إلى جمال السّماء الدّنيا . والمعروف أنّ كلّ شيءٍ في الوجود له حظّه ، بقدرة الله تعالى ، من كلٍّ من الحقيقة أو الحقّ ، ومن الزّينة أو الجمال . وهذه الزّينة لكواكب السّماء يُعَبّرُ عنها بالجمال .

وحينما نتدبّر القول : ﴿ وحفظناها من كلّ شيطانٍ رجيم . إلّا من استرق السّمع فأتبعه شهابٌ مبين ﴾ نتبيّن أنّه يشير إلى حفظ الله تعالى السّماء من شرِّ كلّ شيطانٍ رجيم . وهذا الحفظ للسّماء من الشّرّ يعبّر عنه بالخير . وبذلك يتحقّق في الآيات الكريمات الثّلاث كلٌّ من الحقّ والخير والجمال .

وإنّ خير ما يبيّن معنى الآيتين الكريمتين الأخيرتين هذا الحديث من صحيح البخارى[1] : «عن أبي هريرة يبلغ به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : إذا قضى الله الأمر في السّماء ضربت الملائكة خضعاناً لقوله (خضعاناً بفتحتين من الخضوع . وفي روايةٍ بضمّ أوّله وسكون ثانية . وهو مصدر بمعنى خاضعين)[2] كالسّلسلة على صَفْوان (هو مِثْل قوله في بدء الوحي : صَلْصَلَة الجَرَس . وهو صوت الملك بالوحي . وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه : إذا تكلّم الله بالوحي يسمع أهل السّماوات صلصلةً كصلصلة السّلسلة على الصّفوان فيفزعون ، ويرون أنّه من أمر السّاعة . . قال الخطّابي : الصّلصلة صوت الحديد إذا تحرّك وتداخل . . الصّفوان . . هو الحجر الأملس)[3] . قال عليّ (زاد في سورة الحجر عن على بن عبدالله)[4] وقال غيره (يعني غير سفيان)[5] : صفوانٍ يَنْفُذُهم ذلك (في حديث ابن عبّاس عند ابن مردويه من طريق عطاء بن السّائب عن سعيد بن جبير عنه : فلا ينزل على أهل سماءٍ إلّا صعقوا)[6] فإذا

---

(١) فتح البارى ٨/٣٨٠ حديث رقم ٤٧٠١ .

(٢) فتح البارى ٨/٥٣٨ .

(٣) فتح البارى ٨/٥٣٨ .

(٤) فتح البارى ٨/٥٣٨ وعليّ بن عبدالله راوى هذا الحديث .

(٥) فتح البارى ٨/٥٣٨ وسفيان أحد رواة الحديث .

(٦) فتح البارى ٨/٥٣٨ .

فُزِّع عن قلوبهم[1] قالوا ماذا قال ربّكم ؟ قالوا للّذى قال : الحقّ وهو العليّ الكبير . فيسمعها مسترقو السّمع ، ومسترقو السّمع ، هكذا واحدٌ فوق آخر . ووصف سفيان (أي ابن عيينة)[2] بيده وفرّج بين أصابع يده اليمنى ، نَصَبها بعضها فوق بعض . فربّما أدرك الشّهابُ المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فَيُحْرِقَه . وربّما لم يدركه حتّى يرمي بها إلى الّذى هو أسفل منه ، حتّى يلقوها إلى الأرض ـ وربّما قال سفيان : حتّى تنتهي إلى الأرض ، فتُلْقَى على فم السّاحر ، فيكذبُ معها مائة كَذْبة فيصدقُ فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقّاً ؟ للكلمة الّتى سُمِعَتْ من السّماء»

ومن البيّن أنّ الشّياطين يسترقون السّمع من أجل إيصال ما يسترقون إلى فم السّاحر والكاهن كما جاء في روايةٍ أخرى للحديث[3] وهما في الأرض كسائر البشر . والمعروف أنّ التّقابل في المعانى والتّضادّ في الصّفات من وسائل الرّبط بين أجزاء الكلام ، وها هو ذا السّياق يتحوّل من الحديث عن السّماء إلى الحديث عن الأرض وذلك في الآيتين الكريمتين التّاليتين .

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾

موزون : معلوم مقدّر[4] وزن بميزان الحكمة وقدّر بمقدارٍ تقتضيه لا يصلح فيه زيادةٌ أو نقصان[5] .

معايش جمع معيشة[6] والعَيْش : الحياة المختصّة بالحيوان . وهو أخصّ من الحياة لأنّ الحياة تقال في الحيوان وفي البارى تعالى وفي المَلَك . ويُشْتَقّ منه المعيشة لما يُتَعَيَّش منه[7]

---

(١) كُشِفَ عنها الفزع . الجلالين .
(٢) فتح البارى ٥٣٨/٨ .
(٣) فتح البارى ٥٣٨/٨ .
(٤) انظر الجلالين وتفسير الطّبرى ١٢/١٤ وتفسير ابن كثير ٥٤٨/٢ .
(٥) الكشّاف ١٨٨/٢ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٣/١٤ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «عيش» ٣٥٣ .

ومن لستم له برازقين : من العبيد والإماء والدّوابّ والأنعام[1] .

تتوالى معانى الآيتين الكريمتين في نسقٍ بديع وكأنّها السّلسلة المترابطة الحلقات المتناسقة الحبّات حتّى نهاية الشّوط وغاية المطاف . إنّ ربّ العزّة مدّ الأرض وبسطها ودحاها . وإنّ من متعلّقات مدّ الشّيء وطوله أن ينتابه شيءٌ من الضّعف ، وهذا الضّعف في حقّ الأرض أن تميد بمن عليها وما عليها وتضطرب ، وفي الإمكان أن نتصوّر حال الجزء من الأرض الّذى يميد بما عليه بفعل الزّلازل مثلاً . وإنّ ربّ العزّة ألقى في الأرض رواسي شامخاتٍ ووضع جبالاً شاهقات لئلاّ تميد الأرض وتضطرب . ويلاحظ أنّ القول : ﴿وألقينا فيها رواسي شامخات﴾ يجيء فيه حرف الجرّ «في» وليس حرف الجرّ «على» ممّا يفهم معه ولوج الجبال إلى أعمق أعماق الأرض . فالجبال شامخاتٌ من حيث الظّاهر عميقاتٌ من حيث الباطن .

وحينما نفهم من النّصوص القرآنيّة أنّ ربّ العزّة خلق الأرض في يومين اثنين دون دحو ودون تهيئتها كي يسكنها الخلائق ، ثمّ خلق السّماوات في يومين اثنين ، ثمّ هيّأ الأرض في يومين اثنين تمام ستّة أيّامٍ كي يسكنها الخلائق نفهم بناءً على ذلك أنّ المعاني الثّلاثة في الآية الكريمة ، مدّ الأرض ، وإلقاء الرّواسى فيها ، والإنبات فيها من كلّ شيءٍ موزون ، قد ذكرت مرتّبةً وفق ترتيب وجودها بإرادة الله تعالى .

وحينما يجيء في الآية الكريمة القول : ﴿ **وجعلنا لكم فيها معايش** ﴾ خطاباً للنّاس على جهة الخصوص نفهم منزلة هذا الإنسان الرّفيعة عند ربّه جلّ وعلا . إنّ ربّ العزّة جعل لنا في الأرض معايشنا وقسم بيننا هذه المعايش والأرزاق وجعلها في يده جلّ وعلا وحده لا شريك له . وقد قال عزّ من قائل[2] : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربّك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سُخْرياً . ورحمة ربّك خيرٌ ممّا يجمعون** ﴾ وإنّ كلّ إنسانٍ منّا يستطيع بقليلٍ من التّفكّر أن يتبيّن أنّه مسخّرٌ في خدمة الآخرين الّذين رفعهم الله تعالى علينا فيما يظهر لنا نحن البشر أو خفضهم عنّا أو ساواهم بنا . ولا يُسْتثنى من هذه القاعدة إنسانٌ مكلّفٌ واحد . بل إنّ وجاهة المنصب كلّما ارتقت ارتقت معها درجة خدمة الآخرين في حقّ الّذين يقومون ـ بفضل الله تعالى ـ بواجباتهم . ولّما كنّا جميعاً خادمين للآخرين في الحقيقة فعلينا أن نعرف حقائق أقدارنا وأن نراقب الله تعالى في

---

(١) تفسير الطّبرى ١٣/١٤ .

(٢) سورة الزّخرف ٣٢ .

الآخرين الّذين ينبّهنا السّياق إلى حقيقة أقدارنا وضعفنا وهواننا عن طريق النّصّ على أنّا لا نرزق أولئك الآخرين شيئاً لأنّ الله تعالى وحده لا شريك له : ﴿ **هو الرّزّاق ذو القوّة المتين** ﴾[1] فعلينا جميعاً ألاّ يَسْبِق إلى رُوعنا أنّنا نحن الّذين نرزق خدمنا وحشمنا ومن إليهم . إنّا لا نرزق أحداً شيئاً من هؤلاء الفقراء الضّعفاء . ومادمنا لا نرزقهم شيئاً فهل في مقدورنا أن نزعم أنّنا نرزق من يساووننا أو يعلون علينا ؟ لا ، ليس في مقدورنا ذلك من باب الأَحْرَى والأولى .

ومن البيّن أنّ تنبيه الآية الكريمة لنا بأنّ الله سبحانه وتعالى هو وحده لا شريك له الّذى جعل معايش للّذين لسنا لهم برازقين من العاملين تحت أيدينا إنّما يراد به حثّ النّاس على مراقبة الله تعالى في هؤلاء العاملين تحت أيديهم والتّدبّر الجيّد لهذه الآية الكريمة ـ مَثَلاً ـ من سورة هود[2] ﴿ **فاستقم كما أُمِرْتَ ومَنْ تاب معك ولا تَطْغَوْا . إنّه بما تعملون بصير** ﴾ نسأل الله تعالى أن يلهمنا جميعاً من أمرنا رَشَدا .

والآية الكريمة التّالية تعمّق المعنى المتعلّق بالرّزق :

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾

وإن من شيء : الواو استئنافيّة . إن نافية[3]

تقرّر الآية الكريمة أنّه ليس من شيءٍ في هذا الوجود من رزقٍ إلاّ عند الله سبحانه وتعالى خزائنه الّتى ينفق منها جلّ وعلا ما يشاء . والله سبحانه وتعالى ما ينزّل من شيءٍ إلاّ بقَدَرٍ معلوم ، وكمّيّةٍ معيّنة ، وأجلٍ محدود . فعلى عباد الله تعالى أن يعلموا أنّ ما بهم من نعمةٍ فمن الله تعالى ، وما عندهم من مالٍ فهو ممّا جعلهم الله تعالى مستخلفين فيه . وإنّ جملة ﴿ننزّله﴾ يذكّرنا معناها بمثل معنى جملة أنزلنا في قوله جلّ وعلا[4] : ﴿ **يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً . ولباس التّقوى ذلك خير . ذلك من آيات الله لعلّهم يذّكّرون** ﴾ وبمثل معنى جملة أنزل في قوله عزّ من

---

(١) سورة الذّاريات ٥٨ .

(٢) الآية ١١٢ .

(٣) الجدول من إعراب القرآن وصرفه ٧/ ١٩٠ .

(٤) سورة الأعراف ٢٦ .

قائل[1] : ﴿ **خلقكم من نفس واحدةٍ جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ﴾ إنّ اللّباس إنّما يتمّ الحصول عليه عن طريق الأصواف والأوبار والأشعار على التّوالى والّتى توخذ من الضّأن والإبل والمعز على التّوالى أيضاً . وهذه الأنعام تأكل العشب الّذى ينمو بإذن الله تعالى بفعل الماء النّازل من السّماء أساساً . وما قيل عن إنزال اللّباس يقال عن إنزال الثّمانية الأزواج من الأنعام ، كما يقال في حقّ القول في الآية الكريمة : ﴿ **وما ننزّله إلاّ بقَدَرٍ معلوم** ﴾ ومن البيّن أنّ عماد ما ينزل من السّماء الماء الّذى جعل منه جلّ وعلا كلّ شيءٍ حيّ ، وقد تحدّثت الآية الكريمة التّالية في هذا المعنى .

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾

وأرسلنا الرّياح لواقح : يقال لَقِحَت النّاقة تَلْقَح لَقْحاً ولَقاحاً وكذلك الشّجرة . وأَلْقَحَ الفحلُ النّاقة والرّيحُ السّحاب . قال : ﴿ **وأرسلنا الرّياح لواقح** ﴾ أي ذوات لَقاح[2] .

فأسقيناكموه : يقول الطّبرى[3] : «يقول تعالى ذكره : فأنزلنا من السّماء مطراً فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم . ولو كان معناه أنزلناه لتشربوه لقيل : فسقيناكموه . وذلك أنّ العرب تقول إذا سقت الرّجلَ ماءً شَرِبَه أو لبناً أو غيره : سقيته بغير ألف إذا كان لسقيه . وإذا جعلوا له ماءً لشرب أرضه أو ماشيته قالوا : أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته» .

وما أنتم له بخازنين : ولستم بخازنى الماء الّذى أنزلنا من السّماء فأسقيناكموه فتمنعوه من أسقيه لأنّ ذلك بيدى وإليّ أسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء[4]

حينما نتبيّن أنّ الرّياح في صيغة الجمع هي الّتى تُلْقِح السّحاب بإرادة الله تعالى فينزل المطر ، بمعنى أنّ الماء النّازل من السّماء أي السّحاب ثمرة مجموعةٍ من الرّياح نستطيع أن

---

(١) سورة الزّمر ٦ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «لقح» ٤٥٢ .

(٣) تفسير الطّبرى ١٤/١٥ .

(٤) تفسير الطّبرى ١٤/١٦ .

نفهم أنّ معنى القول في الأية الكريمة : ﴿وأرسلنا الرّياح لواقح﴾ وأرسلنا الرّياح مُلْقِحات السّحب بالمطر ، وذوات لَقاح تُلْقَح به السّحب وتحمل الماء .

وهذا الماء النّازل من السّماء يُسْقى الله تعالى به عبادَه لشُرب أرضهم ومواشيهم ودوابّهم . وبعد معالجة العباد للماء وجعله صافياً نقيّاً يشربونه بفضل الله تعالى الّذى يَسْقِيهم إيّاه بهذا المعنى . وحينما ينبجس الماء العذب النّمير وينفجر يسقيه الله تعالى العباد ويشربونه مباشرة ودون معالجة . ومن باب الأحرى والأَوْلى أن تشربه الأرض والأنعام والدّوابّ .

وهذا الماء العذب النّمير لا يستطيع النّاس أن يخزنوه . ويصحّ أن نفهم القول : ﴿ **وما أنتم له بخازنين** ﴾ وما أنتم له بمانعين الآخرين من نيله والحصول عليه . ويصحّ أن نفهم معنى هذا القول بأنّه ينصّ على عجز النّاس عن خزن الماء وحفظه كاملاً ولو حرصوا . أمّا عجز النّاس عن خزن الماء ومنعه الآخرين فلأنّ ربّ العزّة قد اقتضت حكمته أن يجعل الرّزق بيديه وألاّ يجعل لمخلوقٍ سلطةً على أهمّ مقوّمات حياة النّاس ورزقهم . وبقدر ضخامة حاجة النّاس إلى الشّيء تكون ضخامة العجز عن الخزن والمنع . وفي مقدّمة ما يعجز النّاس عن منع الآخرين منه بعد الهواء الماء الّذى يعتبر بحقٍّ أهون موجودٍ وأعزّ مفقود . وقس على ذلك بعد الماء النّار والكلأ بمعنى العُشْب للماشية .

وأمّا عجز النّاس عن خزن الماء كاملاً وادّخاره فيبدو من الكّميّة الهائلة من الماء الّتى تتبدّد وتتبخّر مهما يكن التّقدّم العلميّ بارزاً والحرص على نقطة الماء الغالية واضحاً . وإنّ من أوضح الأدلّة على عجز النّاس عن حجز الماء وادّخاره بباعث أطيب النّوايا اضطرارهم في الكثير من الأحايين لفتح كلّ المنافذ في السّدود والحواجز وما إليها وقت الفيضان وساعة الطّوفان ! وكما جعل الله تعالى من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ جعله سبباً للوفاة أحياناً . وحول الموت والحياة تحدثت الآية الكريمة التّالية

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾

إنّ الله سبحانه وتعالى هو وحده لا شريك له الّذى يحيى ويميت ، وإنّ الله سبحانه وتعالى هو وحده لا شريك له الباقى الّذى يرث كلّ ما ترك الأموات . وكلّ الأموات يُبْعثون يوم القيامة ويحاسبون فيثابون أو يعاقبون . وإلى هذه المعانى تحوّل السّياق .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

إنّ الله سبحانه وتعالى الّذى يرث الأرض ومن عليها قد علمْ المستقدمين الّذين كتب الله تعالى عليهم الموت من لدن آدم عليه السّلام أبى البشر ، كما علم جلّ وعلا المستأخرين الّذين يكتب الله تعالى عليهم الموت إلى أن يرث عزّ وجلّ الأرض ومن عليها . وإنّ مجىء الحديث عن المستقبل في صيغة الزّمن الماضى : ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ يشير إلى علم الله تعالى المحيط بالمستقبل إذ لا علاقة للزّمن بعلمه جلّ وعلا .

وإنّ المستقدمين الّذين ماتوا ، والمستأخرين الأحياء ككفّار مكّة ، والمستأخرين الّذين لّما يولدوا سوف يحشرهم الله تعالى الحكيم العليم يوم القيامة من أجل فصل الحساب .

ومن البيّن أنّ الآية الكريمة الأولى تتعلّق بالعلم ويتمشّى معها الصّفة ﴿عليم﴾ في الآية الكريمة التّالية ، وأنّ الآية الكريمة التّالية الّتى تتحدّث عن حشر الله تعالى الأموات يوم القيامة تشير الصّفة : ﴿حكيم﴾ الّتى جاءت مباشرةً قبل الصّفة : ﴿عليم﴾ تشير إلى حكمة الله تعالى البالغة في البعث والنّشور والحساب فالثّواب أو العقاب . ولّما كانت الحكمة من الحشر غايةً في الأهمّيّة والخطورة لأنّها بمثابة الغاية بينما العلم بمثابة الوسيلة فقد تقدّمت الصّفة «حكيم» على الصّفة : «عليم» والله أعلم .

وبعد الحديث عن الموت بعد الحياة والمستأخرين بعد المستقدمين والحشر بعد الموت وهي أنواع من النّهايات تحوّل الحديث إلى البدايات . واللّطيف في الأمر أنّ الحديث عن الإنسان تلاه الحديث عن الجانّ منْ قَبْلِه .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ
مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾

ولقد خلقنا الإنسان : آدم عليه السّلام[1] .

من صلصال : من طين يابس لم تصبه نار فإذا نقرته صلّ فسمعتَ له صلصلة[2]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤/١٩ .

(٢) تفسير الطّبرى ١٤/١٩ .

يقال : صلَّ يَصِلّ صليلاً وصلصل صلصلةً ومُصَلْصَلاً . صلّ اللّجام : امتدّ صوته . فإن توهّمت ترجيع صوت قلت صلصل وتصلصل[1] والصَّلصال من الّطين : ما لم يُجْعَلْ خزفاً . سمّى به لتصلصله . وكلّ ما جفّ من طين أو فخّار فقد صلّ صليلاً[2] وأصل الصَّلصال تردّد الصّوت من الشيء اليابس . ومنه قيل : صلّ المسمار . وسمّي الّطين الجافّ صلصالاً[3] قال تعالى[4] : ﴿ **خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخّار** ﴾ والفخّار : ماطُبخ من الّطين[5] .

من حمأ : الحمأ جمع حمأة[6] وهو الّطين الأسود[7] .

مسنون : متغيّر[8] .

والجانّ : عنى بالجانّ ههنا إبليس أبا الجنّ . يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السّموم[9] .

من نار السّموم : ابن عبّاس : السّموم الحارّة الّتى تقتل[10] .

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ ربّ العزّة خلق أبانا آدم عليه السّلام من طينٍ يابسٍ لم تصبه نار ، فإذا نقرته تردّد الصّوت منه ، لأنّه بسبب يُبْسه أشبه الفَخّار أو الخزف ، وهو ماطُبخ من الّطين .

وتقرّر الآية الكريمة الأخرى أنّ ربّ العزّة خلق أبا الجانّ إبليس عليه لعنة الله تعالى قبل أن يخلق جلّ وعلا آدم عليه السّلام أبا البشر ، وأوجده من نار السّموم الحارّة الّتى تقتل لشدّة حرّها .

---

(١) لسان العرب : «صلل» .

(٢) لسان العرب : «صلل» .

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «صلل» وانظر تفسير الطّبرى ١٤/٢٠ .

(٤) سورة الرّحمن ١٤ .

(٥) الجلالين .

(٦) تفسير الطّبرى ١٤/٢٠ .

(٧) الجلالين وانظر تفسير الطّبرى ١٤/٢٠ .

(٨) الجلالين ومفردات الرّاغب الأصفهانى : «سنن» ٢٤٥ .

(٩) تفسير الطّبرى ١٤/٢١ .

(١٠) تفسير الطّبرى ١٤/٢١ .

﴿تمادى اللّعين في غيّه ، وتهديده بإغواء بنى آدم ، وعذاب الغاوين ، وثواب المتّقين﴾
الآيات (٢٨ - ٤٨)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

فإذا سوّيته : فإذا جعلت خلقته على ما اقتضت الحكمة[1]

فقعوا له ساجدين : الوقوع : ثبوت الشّيء وسقوطه . يقال : وقع الطّائر وقوعاً . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ فعبارةٌ عن مبادرتهم إلى السّجود[2] سجود تحيّة وتكرمة لا سجود عبادة[3]

كلّهم أجمعون : كلّهم توكيد معنويّ للملائكة مرفوعٌ مثله . وهم ضمير متّصل مضاف إليه .

أجمعونَ : توكيدٌ معنويّ ثانٍ مرفوع وعلامة الرّفع الواو[4]

تخاطب الآية الكريمة الأولى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وتقول له : واذكر يامحمّد إذ قال ربّك جلّ وعلا للملائكة الأطهار الّذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون : إنّى خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمأٍ مسنون ، وإنساناً من طينٍ أسود متغير .

وتبيّن الآية الكريمة الثّانية أهمّ مقوّمات هذا البشر والمطلوب من الملائكة بشأنه . إنّ ربّ العزّة سوف يسوّى هذا البشر ويجعله في أحسن تقويم وعلى ما اقتضت حكمته جلّ وعلا بجعله في أجمل صورة وأبهى منظر . أمّا من حيث المخبر والجوهر فإنّ الله سبحانه وتعالى سوف ينفخ فيه من روحه جلّ وعلا . وبهذا يكون الإنسان من حيث المادّة والمظهر مشدوداً إلى الأرض لأنّ جسده من طينها . ويكون من حيث المخبر والرّوح محلّقاً فى أرحب الآفاق وأسمى الأجواء بسبب النّفخة الّتى هي فيه من روح الله تعالى . والمطلوب من الملائكة الأطهار الّذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أن يسجدوا سجود تحيّةٍ وتكرمةٍ لهذا البشر الّذى كرّمه الله تعالى وأسجد له الملائكة .

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «سواء» ٢٥١ و ٢٥٢ .

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «وقع» ٥٣٠ .

(٣) تفسير الطّبرى ٢٢/١٤ .

(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٩٦/٧ .

والآية الكريمة الثّالثة تقرّر أنّ الملائكة كلّهم أجمعين قد امتثلوا لأمر الله تعالى فسجدوا أجمعين وبدون استثناء . ويصحّ أن نفهم أنّ كلّ الملائكة قد سجد من القول : ﴿كلّهم﴾ ويصحّ أن نفهم أنّ الملائكة الّذين لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لم يتخلّف واحدٌ منهم عن السّجود وذلك من القول : ﴿أجمعون﴾ ومثل هذا الفهم يتمشّى مع ما نصّ عليه القرآن الكريم من كون إبليس اللّعين من الجنّ . جاء في سورة الكهف[1] قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه ﴾ .

والآية الكريمة الرّابعة تقرّر أنّ إبليس اللّعين أبى أن يكون مع السّاجدين الّذين شملهم الأمر بالسّجود لآدم عليه السّلام .

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾

ما لك ألّا تكون مع الساجدين : ما منعك من أن تكون مع السّاجدين[2] .

إنّ ربّ العزّة الّذى لا يخفى عليه باعث اللّعين على عدم السّجود لآدم عليه السّلام امتثالاً لأمر الله تعالى والّذى يحاسب خلقه بأعمالهم وليس بسابق علمه ليسأل اللّعين : ما منعك من أن تكون مع السّاجدين ؟

قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾

إنّ إبليس الذى عصى أمر ربّه جلّ وعلا بالسّجود لآدم عليه السّلام يكون ردّه على السّؤال التّوبيخيّ التّقريعيّ من جنس فعله القبيح السيّء . إنّه يعلن بأنّه ، وهو الّذى خلقه الله تعالى من نارٍ ، لم يكن ليسجد لبشرٍ خلقه الله تعالى من صلصالٍ من حمأٍ مسنون . إنّ الطّين في نظر اللّعين لا يسمو سموّ النّار . وغفل اللّعين عن كون آدم عليه السّلام ، الّذى خلقه الله تعالى من طين ، قد نفخ فيه جلّ وعلا من روحه .

---

(١) الآية ٥٠ .

(٢) تفسير الطّبرى ١٤/٢٢ .

قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾

لقد عصى اللّعين ربّه جلّ وعلا واستكبر فأمره ربّه جلّ وعلا أن يخرج من الملكوت الأعلى والسّماوات العُلَى[1] فإنّه رجيم . والرّجيم المرجوم . صرف من مفعول إلى فعيل . وهو المشتوم[2] وإنّ عليه اللّعنة بمعنى غضب الله تعالى والطّرد من رحمته جلّ وعلا[3] إلى يوم الدّين يوم القيامة . ويومُ الدّين يومُ الجزاء[4]

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ اللّعين طلب من ربّ العالمين أن يمهله إلى يوم يُبْعَثُ الخلائق من قبورهم حينما ينفخ إسرافيل بإذن الله تعالى في الصّور النّفخة الثّانية فيحيا الخلائق بإذن الله تعالى ويخرجون من القبور . لقد أراد اللّعين الإمهال إلى وقت النّفخة الثّانية ويوم البعث أن يضمن الخلود .

وتقرّر الآيتان الكريمتان التّاليتان أنّ ربّ العزّة قال للّعين بأنّه سبحانه وتعالى سوف يمهله إلى يوم الوقت المعلوم فقط وهو يوم ينفخ إسرافيل بإذن الله تعالى في الصّور النفخة الأولى فيموت بسببها الخلائق إلاّ من شاء الله تعالى من الملائكة والولدان والحور العين .

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

بما أغويتني : الباء حرف جرّ ، هي السّببيّة عند بعض المفسّرين لأنّ القسم

---

(١) انظر تفسير الطّبرى ٢٢/١٤ .

(٢) تفسير الطّبرى ٢٢/١٤ .

(٣) انظر تفسير الطّبرى ٢٢/١٤ .

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «دين» ١٧٥ والجلالين وتفسير ابن عطيّة ١٣٠/١٠ .

بالإغواء غير متعارف . وهي باء القسم عند آخرين لأنّ الإغواء يقسم به بكونه من فعل الله . ما ، حرف مصدريّ[1] .

المخلَصين : إلّا من أخلصته بتوفيقك فهديته فإنّ ذلك ممّن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به[2] والمخلَص ، بفتح اللّام : الّذى أخلصه الله جعله مختاراً خالصاً من الدّنس[3]

قال اللّعين مخاطباً ربّ العالمين في الآية الكريمة الأولى : بسبب إغوائك لى ياربّ العالمين ، أو أقسم بإغوائك لى ياربّ العالمين ، لازيّننّ لجميع ذرّيّة هذا الّذى كرّمت عليّ كلّ قبيح ولأغوينّهم عن الصّراط المستقيم ، بحملهم على كلّ اعتقادٍ فاسد وعملٍ قبيح .

وفي الآية الكريمة الثّانية يستثنى اللّعين من هذا التّهديد عباد الله تعالى الّذين جاهدوا في الله تعالى حقّ جهاده والّذين هداهم الله تعالى إليه ، ونقّاهم من الدّنس ، وجعلهم مختارين خالصين من الأوشاب .

قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

هذا صراطٌ عليَّ مستقيم : هذا طريقٌ إليّ مستقيم . فكان معنى الكلام : هذا طريقٌ مرجعه إليّ فأجازى كلاًّ بأعمالهم ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ إنّ ربّك لبالمرصاد ﴾ وذلك نظير قول القائل لمن يتوعّده ويتهدّده : طريقك عليّ وأنا على طريقك . فكذلك قوله : هذا صراط ، معناه هذا طريقٌ عليّ وهذا طريقٌ إليّ[4]

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٠١/٧ .

(٢) تفسير الطّبرى ٢٣/١٤ .

(٣) لسان العرب : «خلص» .

(٤) تفسير الطّبرى ٢٣/١٤ .

إنّ ربّ العزّة الّذى سبق علمه إلى ما سوف يقوم به اللّعين من إيذاءٍ لآدم عليه السّلام وزوجه حوّاء عليها السّلام ، ومن إغواء لذرّيّتهما ، لا يؤاخذ اللّعين على الفور إنّما يؤخّره إلى وقت النّفخة الأولى . ويبيّن ربّ العزّة ثواب السّائرين في الصّراط المستقيم إليه جلّ وعلا وعذاب الفاسقين الخارجين عن الصّراط المستقيم والكافرين الهاجرين لهذا الصّراط المستقيم .

إنّ الآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ ربّ العزّة قد بيّن معالم الصّراط المستقيم إليه جلّ وعلا . إنّ ربّ العزّة الّذى لا يُسْأل عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألون يبيّن ، فضلاً منه ونعمةً ، معالم الطّريق القويم إليه جلّ وعلا والطّريق المستقيم .

وإنّ الآية الكريمة الثّانية تبيّن في صدرها أنّ عباد الرّحمن الّذين يسيرون في الصّراط المستقيم ليس للّعين سلطانٌ عليهم بإذن الله تعالى ، كما تستثنى في عجزها الغاوين أصحاب الاعتقاد الفاسد والعمل السيّء بسبب اتّباعهم خطوات الشّيطان الرّجيم .

وإنّ الآية الكريمة الثّالثة تقرّر أنّ جهنّم لموعد أولئك الغاوين المبتعدين عن الصّراط المستقيم أجمعين .

ولّما كانت الأعمال السّيّئة تختلف دركاتها فقد نصّت الآية الكريمة الرّابعة على أنّ لجهنّم سبعة أبواب . ويصحّ أن تكون تلك الأبواب متجاورة ، ويصحّ أن تكون متراكبة فيما يقال . كما نصّت الآية الكريمة على أنّ لكلّ بابٍ من هؤلاء الغاوين جزءاً مقسوماً وحظّاً معلوماً .

ويتحوّل السّياق إلى الحديث في ثواب المتّقين .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ المتّقين سيكونون يوم القيامة بإذن ربّهم في جناتٍ وبساتين ، وعيونٍ وأنهارٍ تجرى من تحتهم . ولا يخفى أنّ من أهمّ مقوّمات جنّات الدّنيا ، ويقاس عليها جنّات الآخرة ، الخضرة والماء والظّلّ الظّليل . والمعروف أنّ ظلّ الجنّة ممدودٌ ومستمرّ ، لأنّه ليس ثمّة شمسٌ كما أنّه ليس ثمّة حاجةٌ إليها .

والآية الكريمة الثّانية تقرّر أنّ أولئك المتّقين يقال لهم يوم القيامة ادخلوا الجنّة

بسلامٍ وطمأنينةٍ وأمانٍ من العذاب والخروج وسلب نعمةٍ وزوال صحّة وتحوّل عافية إلى غير ذلك من المنغّصات .

والآية الكريمة الثّالثة تقرّر أنّ ربّ العزّة قد نزع ما في صدور المّتقين من غلٍ وحقدٍ وضغينةٍ وعداوةٍ لإخوانهم المّتقين ، وغَدَوْا إخواناً في حبّ بعضهم بعضاً ، ووراء ذلك هم في الجّنة على سررٍ متقابلين ، لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه[1] إنّهم لنقاء سرائرهم من ناحية ، ولدوران الأسرّة بهم[2] من ناحيةٍ أخرى يرى بعضهم وجوه بعضهم الآخر .

والآية الكريمة الرّابعة تقرّر أنّ المّتقين لا يمسّهم في الجنّة نصبٌ ولا تعب[3] وما هم بمخرجين من الجّنة ونعيمها المقيم .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤/٢٦ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير الطّبرى ١٤/٢٧ .